

إهداء..

إلى

آمنة ناصر.

إبراهيم

جئت من يدها

تلك سيدة

جئت من يدها وحرير ملابسها

ليس من عاشق في المدينة غيري

اتخذت لها شاهداً

قرب غصن تعلق في بابها

ما الذي أشعل القلب والرأس

يا صاحبيّ ابكيا أو قفا.

تتربّص هذي الفراشات بالظلّ

كيما تحطّ على قامتي

قلت أخلو غلى كلماتي

أطارده هذي النجوم

أحاول اصطادها.

هل انا الان اقرب منك إليك.

على بابك اللؤلؤي

قرأت القصيدة أوّلتها

أيها الجسد المرتقي صهوة الغيم

ليس مشاعاً لك الدرب

بعض حضورك ضرب من اللغو سيّدي

لن أعود وأنت تقولين:

من أنت؟

لا لن اجادل

فالخاسران: انا وأنا.

مثل عصف القصيدة

استظلّ مقام الغناء

أعاد الصباح إلى فيئه

ينبغي أن يعيد إلى النار أسرارها

هكذا مثل عصف القصيدة

يذهب في الحلم

يكسر رعدة قنديله

في غيوم من الجمر

تسكن قامته

بالربيع المطهر يغسل لون الخرافة

عن جسد كانت الريح تدفعه للبكاء

سيسقط زيف الظهيرة

رغم اليباب الذي يتبخر بين الحقول

* * *

يبللّ مطر ليس يعرف أنواءه

يتساقط فوق براري الطفولة

من جنة وجحيم

له خبز عمري

وفاكهة الكلمات.

على فرح جموح

ولدُ من الفرح الملوّن

تجلس الحارات فوق زنوده السمرء

يضحك للجهات

شروق شمسٍ كان يسبق خطوه.

هذا الفتى الآتي

على فرح جموح

خيله ونخيله في الأرض ترسم نجمة

منحّته فيض طباعها

لتصير أشبه بالحياة

يذوب فيها كي يجيء رواية

أو حقل ورد في القرى

* * *

كان الفتى كالمستحيل

يصوغ بعض غموضه

لم يعرف الأولاد سيرته

هواجسه علي مهل تسير

تغيّر المجرى

فتحمي السالكين من الخراب.

كفن لا يليق بفقري

يداك هما الباب

أدخل؟

لن يلمح العابرون ظلالني

أكتّا وحيدين نمشي

كأنّ البيوت تنام على سرّنا.

السراب ردائي

نسيت الطيور التي تثقب الروح

حين تميد بي الأرض.

من سيشرع هذي النوافذ

تبدو لي الآن أبعد مما أظنّ..

سأرسل ورداً إليك

فقط افتح الباب موحشة حجرتي

وضواحي الفؤاد حصى وغبار

غنائي تيبس في الحلق

إنّ رجالاً يزورون أحلامنا ثم لا يهتدون..

الوجوه الكئيبة تذهب مسرورة لمرايا الضجيج

الميادين تسكنني

وتهيئ لي كفنًا لا يليق بفقري.

أنا ولد مغرض

جاء يخرج أصحابه من جنان الغواية والنزوات

إلى حيث شاء

تماماً كما في جنازاتنا

يتعرّى السؤال

ويعلن عن موته واقفاً.

الذي كالحريق

ا

ليس لي ضُفَّة تحتفي بالمراكب

أذهب صوبَ الكلام الذي كالحريق

أخبئه في ثيابي

ألوذ به كلما طلّ

طير القصيدة من خافقي

هل أخط فضاءً

لكي أتدرّج في عتبات البريق

خطاي معلقة في الأعالي

أنا أربك الدرب

أستر عورته

ليس عندي النشيد

الذي أتغنى به

* * *

قلق شاهق سوف يفجؤنا

هل لنا هامش نتبادل فيه التفاصيل؟

ننسى ملامحنا كي نفيقْ

* * *

غيمة كدت أمسكها

فتنة في الملامح هاربة

لا أرى أحدا

غير هذا الكلام

الذي كالحريقْ.

رجال يجوبون أعضاءنا

ربما سوف تمطر..

طال انحباس الغيوم

أمشّط ذاكرتي كنت طفلاً وكان يحدثني

عن رجال يجوبون أعضاءنا.

في مكان خفيّ تنام الحياة

هناك تخطط لنا الإرث

فوق الشوارع تركض تطلق أغنية للمدى.

ليس في نيتي فعل شيء

أبي كان ينهري أن أعدّ النجوم لأنّ

غداً سوف تسقط نجمته من فضائي!!

السماء ستمطر..

كنا حفاة وكان النشيد الحريريّ

ينمو على عشب أجسادنا.

ربما سوف تمطر هذا النهار

لكيلا نقيس اليباب بأصواتنا ثمّ نمشي عراة..

ببطءٍ أسير أرى خطوات الرفاق

هي الأرض ممكنة بالكلام

سيأخذني للدروب الفسيحة

للذكريات.

اهدأ الآن

أنت إلى حكمة الغيب

أقرب/ أقرب

إن الرياح تهين أجنحة للمطر.

يقينا ليس وجهي

ذلك الوجه الذي عاد

يقينا كان وجهي

مثل فانوس تدلّ

فوق باب الغبش الليليّ

ذكراه يباب يرتخي بين السواقي

كيف لا يأتي سوى وجهي

لكي يجلب هذا الغيث

تزدان الضواحي.

مال نحو الفرح المهزوم

والوقت كأشجار المنافى

* * *

أحفر الأسماء فوق الرمل

كي تقرأ يا رعد رموز الأبجديات

وما علّمت من أسماء

هذا الوجه لي

بِخْ بانطفائي وبآلاف الضحايا

* * *

هذه الرؤيا لها وجهان..

ما أسخف هذا السرّ

لومات المغنّي وتخلّى

عن وصاينا إلى مفترق التيه.

يقينا ذلك الوجه الذي يمشي أمامي

ليس وجهي.

مبعثرة في أباريق شهوتها

فَتَحْتُ لِلْهَلَالِ الشَّبَابِيكَ

كِي يَتَرَيِّعُ فَوْقَ مَوَائِدِهَا

خَاشِعَا فِي بَخُورِ خَطِيئَتِهَا

حَوْلَ أَصْبَعِهَا خَاتَمُ يَتَنَاءَبِ

فِي وَحْشَةِ اللَّيْلِ

يَسْقُطُ مَرْتَعِشَا كَالْحَرِيرِ

عَلَى صَوْتِ خُلْخَالِهَا

يتعارك فيها نداء الفضول

وحيدا يجيء لها كي يشقّ

حجاب الرجولة

لكنه لم يجد أحداً في المساء.

الشوارع تصحبني

مثل حورية للعراء

تعلمني أين تبتسم الخيل بعد الفتوحات

كيف تضىء البروق

مساحات أجسادنا في الظلام؟

* * *

الممرّات عاصفة لا تذوب

محمّلة دائما بفواكه عتمتها

تستعيد أنوثتها

من أظافر غائرة بالبياض

تجىء مبعثرة في أباريق شهوتها

بانتظار الأهلة في الليل

تركض بين موائدها.

يعلن الليل عصيانه

لم يعد ممكناً أن تحاصر هذا العراء وحيداً

لأنّ الظلام يشدّ الوثاق عليك

يحتّ الخطى صوب عزلتك الأبدية

حيث البنايات تجلس عارية

تتضاءل شيئاً فشيئاً.

كأنّ الفتى ما زال منتظراً

قبل أن يعلن الليل عصيانه.

لم يعد ممكناً أن تخبّي هذا اليمام الجنوبيّ في الصدر

سوف تطلّقه كي يحاور خفّفته ويعاشر نعاغه دون

ثرثرة.

هل ستنهض بين المدى والمداد

تباغت قيد الحنين؟

تحسّسْ نواياك في يقظة

كي تحلّ وثاق الظلام.

استفاق على وله

الهطول البهيّ شذاك

فهل تخرجين من الأسر ؟

يدنو من الروح طير البكاء

سيبكي على ملّكه

بدموع ستستصرخ الحب فيك

بكّفين فاض بريقهما سوف يجلب

بعض تفاصيل وردك

يدخل في لذة من عذاب

ويهيئ أمطاره لاكتمال المديح.

الهطول النقيّ يواعد بالجلال

يداه إلى أفقها صعدتْ

من يقود خطاه إلى شرفة

أكملتْ دورة الوجد القرويّ؟

استفاق على وليّ مسرف

كان هاجسه في انتظار

الهطول السخيّ.

تجاسر أن يسرق العشب

للمدى

للنخيل المهاجر خلف الغمام

أعدّ القصيدة للبشر الخالدين

سلام على خيلهم والرياح التي لم تنم

منذ مركب نوح

دمي شاخص عند باب المساءات

من أول العمر أهفو

إلى نجمة في الميادين..

* * *

كيف سنكتب أسماءنا

ثم نرجع ثانية نتسكّع في آخر الأرض

نوغل في التيه من سغبٍ

كيف أجلو الكتابة من صدأ الخوف

أصقلها ببريق الصّبا.

* * *

كان يجلس قرب السرير

تجاسر أن يسرق العشب

يطوي البراري على راحتيه

غدا سوف ينقسم الناس قال

وخطّ

بأصبعه

في

الترابّ.

شوارع من سهر

الأعاصير تأتي من الغرب كل نهار

لتصعد في جبهة السفح

ينقسم الرمل ينشق فيه غراب

التواريخ والوحشة الأبدية...

تأتي من البحر هذي العواصف

ما عاد للشعر قلب

تطول المسافة

تسقط في اللحظة الدافئة.

* * *

حين تأتي عصفير دهشته في المساء..

ببطءٍ يكون الفضاء زنازين

كالذكريات ولو فتح الليل أبوابه

في يديه ستلمع أسئلة وشوارع

من سهر وذهول

لماذا يكون الرماد كثرثرة؟

سوف أخرج من مشهد الرعب منتصرا

هؤلاء يتوقون للموت

فيما القصيدة تبحث عن نجمة

في الأزقة

لا مطر أتغنى به

بل مجرد طيفٍ ولا وقت لي

كي أقول الوداع

* * *

يتجوّل بين الكتابة

يعلن أن الطيور تنوح

ولا تدع الحلم

يا رجلا سيقامر بالقلب

مازال يهجس:

أن العيون التي تحصد الموت

في حبه هائلة.

ريخُ صرصرُ في الروح

إلى عينيك تأخذني الكواكب

إن أردت العشق واختالت على

جسدي ثياب الرغبة السفلى

أنا المجنون يهجس قبل مولده

جثثُ نار الغواية

بين أعضائي وصفقت

الطيور الخضر

أستدعي الغريزة

حين تأكل من حشائش ليلها الوحشيّ

أنزع عنك أمشاج الحكاية

هكذا تتعلمين الحب من فوضاي

هل عدنا علامات على أجسادنا الغرقى؟

أنا البرق اليمانيّ

الشبابيك استعدّت للغموض العذب

ريح صرصر في الروح

أنشئ كالحدايق أنت

تأخذني

إلى عينيك

أغيتي.

سوف يكتبني الماء

أعطني برهة

كي أقول الذي لا يقال

الصحاب يمرّون في البال

أسدي النصيحة للعابرين:

ألا أيها الواقفون على جثتي

سوف يكتبني الماء

بعض الهواء المذاب

النساء الأنثىقات

لكننى سوف أطوى

اشتداد الهوى بفؤادى

أدارى انكسار العشىّات

لا وقت لى كى أقايض

هذا الهوى بالحرقِ

إلام أنا لا أفيق على جسد

يشربّ كنافورة من لهبّ؟

* * *

السماء حياديّة

الظلال التي تتقاطع فوق البيوت

ليالي الخميس

الصحاري البعيدة

بعض النعاس

صبايا القرى

كل شيءٍ يمارس هذي الحياديّة السافلة

* * *

سوف آتيك مرتكبا عاتيات القصائد

وسوسة الروح

يرهقني هاجس الأقحوان

فراغ المسافة.

مم هروبك؟

من عتمة الدرب في الليل؟

بل عتمة الروح أقتم

هيا أعطني برهة كي أقول

الذي لم يقل!

ضحياك يأتون

أنت لا تستسيغ السعادة

كالعاشقين يضيئون في الليل

لا يتركون لنا أثرا نستدلّ عليهم

ولا تستسيغ الطريق إلى الحيّ بعد العشاء

لأنّ ضحياك في الليل يأتون

لا وقت لي كي أردّ أنا

عربات الجنون إلى شارع آخر

سوف يلزمني زمن أتوالد

في غابة يتصاعد منها الخواء

وحيدا أنا أتبختر بين بخور التقاليد

في الفجر أبصر تلك الكآبة عائدة

من مراعي الظنون

* * *

كأنك أنت أمير الفراغ

ترى العابرين

وتعرف أسماءهم واحدا واحدا

فلتقف أو لتسه قليلا

غبار الهزائم طهرني

الكلام تعفّر بالرجس

والريح مأخوذة بالهباء

تعال إليّ إذن

نحن صنوان

لا نستسيغ السعادة

لا نقرن الضدّ بالضدّ

حين تفاجئنا رعدة الكلمات.

المدينة تخلق خلخالها

ككلّ مساءٍ يعود إلى بيته

ليس يمكن أن يتفادى الفجيرة

ذا جسد يترجّح

ينفث في الجمر أسماءه

ما الذي يدفع الغرباء إليّ؟

المدينة تخلق خلخالها

كاد يغمرني الليل حين بكيت.

يسامر رغبته

هكذا علمته الحكايات

يستأنس الوقت قبل اكتشاف

النهار طريقته

يردون على خاطري دائما

ليس من حقهم أن يروه

يلوّن قامته في الخفاء

خذوا ما تريدون

لكنني صاعدٌ في دماكم

أنا ساعة في خطاكم

* * *

أعاود ترتيب هذي القصيدة

أعرف أن المنازل لا تصطفي ساكنيها

ولا الأرض

يختارها

العابرون.

تدخل في اللوحة الحائطية

ليس لي راية أستعين بها

في المعارك أو نجمة أتعلّق

في ظلّ أهدابها

رغم ذلك

يحمل سترته

ويغادر شرفة منزله.

سأقول متى يتفتّح ورد الكتابة

مستهديا بالمساكين وابن السبيل

* * *

دون قصيدٍ ستخرج

من لوحة في الجدار

تعدُّ رغيْفك

عطر قديم توزّعه في ثيابك

تشعل سيجارة

ثمّ تقرأ بعض العناوين

في صحف اليوم...

تدخل في اللوحة الحائطية ثانية.

من يقول بأنك أخطأت

سرّ الطريق إلى الأرض

قبل اندلاع المواسم

من يستردّ الخلاص

الطفولة

مجد الغموض

الحقيقة زاحفة فوق عري الكلام.

تعال نكذب هذا اليقين

إذا أغلق الباب في وجهنا

سنصبّ لهم مطرا

في جرار الحروف

ونغتاله قبل بدء الظلام.

عرش قتلاي عرشي

في دروب تضيق به

وفضاء يضيق عليه

كان ممشاه لا لغة تتأوله

الأماكن تمضي وتترك خارجها

جسدا لا يهادن

يحمل تاريخه شركا

كان يعرف بعض المجاز

فهل يخرج النص من نفيه؟

* * *

بين منتصف النسوة الفاتنات

انتمى للرحيل

تحدّث في وجلٍ:

عرش قتلاي عرشي

صدىّ يتمدّد في الظلّ

بين الخيانة والغزو

تُتسع الاتجاهات مسرفة في الفراغ...

مرارته احتشدتْ

جرحه واقف

لم يجد متعة للكلام

ولم

تتهيّا

له

مفردات

اللغة.

صاف كالسماء

رجل تؤرّقه الحكاية في الوجوه السمر

صافي كالسماء تمدّه الطرقات بالسلوى وبالمنّ

الردى يمحوه تنداح ابتهالات المياه

على الضواحي واليباس نديمه الليليّ...

أعلنت القصيدة ذات همسٍ

فاصطلى الجمر المعنّى في دنان العشق.

ما بين البصيرة والعمى يشتاقي للخطوات

في طرق الضلالة

- والفضاءات القريبة نرفه -

متآلفاً بشروده وجنونه الوحشيّ

يبحث عن مداه

وحين حاصره الجحيم

على

قصيدته

انكفأً .

فاكهة الرّجس

يتعلّم أن يغرق الماء

يمشي عليه

متى يتوقف هذا الضرير؟

من الصخب الحرّ أقبل

من قممٍ كالمدىح

كالقميص المتوّج بالنمنمات

أتى ألقاً مفردا

* * *

رجلٌ يتخطَّى الردى ويعاشر

تحت الوسائد فاكهة الرجس

يصطحب السرّ

يفتح نافذة في المكان

تهلّل والبرد ملتبس بحرير المساء

المجازات ملأى بأسراره

* * *

لا سلاح معي وأنا طيّع

كم أراق دما فوق ذاكرتي

كانت الريح تلهج:

ذا رجل يتعلم أن يغرق الماء

في صحوه ويغيّر شكل الطريق.

الطريق تضيق بنا

جلبناك كي ترتدي معطف الشعراء

تطوف على بهجة الأرض والناس

يا أيها المتدثر بالكلمات

الضلالات في خطوها تتعثر

إن البراري مهياة

فاستقم كي تعري دروب المدينة

من عاديات الهوى

والقرايين من ذلّها الأبديّ

الفضاءات تحنو على زبد البحر

تكتب أشياءها في جبين النهار

* * *

جلبناك في غفلةٍ

كأنّ الأغاني التي استصرختك

لها نكهة العشب والصبوات

ننادي عليك:

الطريق تضيق بنا أو تضياء

اقترفنا احترام المحال

انتظرنا الرياح الشريفة

تنبت بين عروق الكلام

فمن ذا الذي سوف يسرج

خيل النداء؟

تحت سقف البياض

ويغادر معجمه ثمّ يجمع

ما يشبه المستحيل على وجهه

كان مختبئاً خلف سندسها

ضاحك الغيم

لكنه لم يعد ينتمي للمكان

غلامية الشَّعر

حطّ الجفاف على رملها الغضّ

بايعتها زمنا

كيف أخرج وهى ساكنة في الكتابة؟

لا عاصم اليوم من جسد

أتوطن فيه وأمضي له خطوة خطوة

نزوة غير عادية أتمادى بها

* * *

تحت سقف البياض

يتمتم بالكلمات فتطلع كالورد

مغسولة بالهوى البكر والرغبات.